سُورَةُ الفُرقَانِ

❁ التَّعريفُ العامُّ بالسّورة:

الأصحُّ أنَّ سورةَ (الفرقان) كلَّها مكّيَّةٌ

سورة الفرقان من السّور المكّيَّة عند جمهور العلماء[1]، وذهبَ السّيوطيُّ إلى استثناء آياتٍ منها، وذكر أنها مدنيَّة، وهي قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾ [الفرقان: 68 - 70][2].

وذهب الضّحّاك إلى أنَّها مدنيَّةٌ إلّا الآياتُ الثّلاثُ مِن أوَّلها إلى قوله: ﴿وَلَا نُشُورٗا ٣﴾ [الفرقان: 3][3].

لكنَّ الصَّحيحَ أنَّها مكّيَّة؛ قال ابن عاشور: "الصَّحيحُ أَنَّ هَذِهِ الآياتِ الثَّلاثَ مَكّيَّةٌ كَما في صَحيحِ البُخاريِّ في تَفْسير سورَة الفُرْقانِ: «عَنِ القاسِمِ بنِ أَبي بَزَّةَ أَنَّهُ سَأَلَ سَعيدَ بْنَ جُبَيْرٍ: هَلْ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقَرَأْتُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الفرقان: 68]، فقالَ سَعيدٌ: قَرَأْتُها على ابْنِ عَبّاسٍ، كَما قَرَأْتَها عَلَيَّ، فقالَ: هَذِهِ مَكّيَّةٌ نَسَخَتْها آيَةٌ مَدَنيَّةٌ الَّتي في سورَةِ النِّساءِ»[4]، يُريد قولهُ تَعالَى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾ الآيَةَ [النّساء: 93] ... وأُسلوبُ السّورة وأغراضها شاهدة بأنَّها مكّيَّة"[5].

---

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 199.
(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 62.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 313.
(4) البخاري، الصحيح، كتاب التّفسير، حديث رقم: (4484).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 313.

وسورةُ (الفرقان) هي السّورةُ الخامسةُ والعشرون في ترتيب المصحف الشَّريف، وهو التَّرتيب الثّابت، والمُعوَّلُ عليه عند أهل النَّظر والتَّحقيق، جاءَتْ بين سورتي النّور والشُّعراءِ، وعددُ آياتها سبعٌ وسَبعونَ آيَة في جَميع العدَد لَيْسَ فيها اخْتِلاف[1]، وأمّا ترتيبها النُّزوليُّ؛ فقد ذكر بعضُهم أنَّ ترتيبها الثّانية والأربعون بين سورتي (يس) و(فاطر)[2]، والحقُّ أنَّ التَّرتيب النُّزوليَّ ليس قطعيًّا في ثبوته؛ لأن الرويات الذي ذكرت ذلك لم تثبت.

فضائل سورة الفرقان:

عندَ البحث والتَّحقيق في آثارِ فضلها نجدُ هذه الرواية المشتهرة عن عمرَ بن الخطاب - رضي الله عنه - أنَّه قال: «سمعتُ هِشامَ بنَ حَكيم بن حِزام يَقْرَأُ سورَة الفُرْقانِ على غَيْرِ ما أَقْرَؤُها، وكانَ رَسولُ اللّه ﷺ أقرَأَنيها، وكِدْتُ أنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِردائِه، فجِئتُ بِهِ رَسولَ اللّه ﷺ، فقُلتُ: إنّي سَمِعْتُ هَذا يَقرَأُ على غَيرِ ما أَقرَأْتَنيها، فقالَ لي: أَرْسِلْهُ، ثُمَّ قالَ لَهُ: اقْرَأْ، فقَرَأَ، قالَ: هَكَذا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قالَ لي: اقْرَأْ، فقَرَأْتُ، فقالَ: هَكَذا أُنْزِلَتْ، إنَّ القُرْآنَ أُنزِلَ على سبعةِ أحرُف، فاقرؤوا منهُ ما تيسَّرَ»[3].

دلالة التّوقيت الزّمنيّ لنزول السّورة:

ظـروفُ نـزول السّورة حافلةٌ بـالأحـداثِ والتَّحديّات للمُسلمينَ في مكّة

نزلَت السورة في أواسط الفترة المكّيَّة، وهي فترةٌ حافلةٌ بأحداثٍ جِسامٍ عاشَها الصحابة الكرام رفقة النَّبيِّ ﷺ، ويظهرُ ذلك جليًّا من خلالِ تزاحُم الآيات التي جاءتْ للتَّسرية عن النَّبيِّ ﷺ من مثلِ قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

(1) الداني، البيان في عدّ آيّ القرآن، ص: 194.
(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 43، ودروزة، التفسير الحديث: 3/ 47.
(3) البخاري، الصحيح، كتاب الخصومات، باب: كلام الخصوم بعضهم في بعض، حديث رقم (2288).

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾﴾ [الفرقان: 9 - 10]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: 31 - 32]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: 56 - 58].

أسماءُ السّورة الكريمة:

سورةُ (الفرقان) لم تُسَمَّ باسمٍ غيرِه في الأثر

تقدَّم في التَّعريفِ بالسّورة أنَّ تسميتَها (سورةَ الفُرقان) قد ورد على لسانِ عمرَ بنِ الخطاب في الرِّوايات الصَّحيحةِ الثّابته عنه، وأنَّه نطق باسمِها أمامَ النَّبيِّ ﷺ: «فانْطَلَقْتُ بِهِ أَقودُهُ (أي: هشام) إِلَى رَسولِ اللّه ﷺ، فقلتُ: إِنّي سَمِعْتُ هَذا يَقْرَأُ بِسورَةِ الفُرْقانِ على حروف لم تقرِئْنيها، فقالَ رَسولُ اللّه ﷺ: أرسِلهُ، اقرَأ يا هِشامُ، فقَرَأَ عَلَيهِ القِراءَةَ الَّتي سمعتُهُ يقرأ، فقالَ رَسولُ اللّه ﷺ: كذلكَ أُنزِلَتْ»[1]، قال ابن عاشور: ولا يُعرَفُ لِهَذِهِ السّورَةِ اسمٌ غَيرُ هَذا، والمؤَدِّبونَ مِنْ أَهْلِ تونِسَ يُسَمّونَها (تَبارَكَ الفُرْقانُ) كَما يُسَمّونَ سورَةَ المُلْكِ: (تَبارَكَ، وتَبارَكَ المُلْكُ)، ووَجْهُ تَسْمِيَتِها (سورَةُ الفُرْقان) لِوُقوعِ لَفْظِ الفُرْقانِ فيها ثَلاثَ مَرّاتٍ في أَوَّلِها ووَسَطِها وآخِرِها[2].

وقال المهايميُّ: سُمّيت بـ(الفرقان) لاشتمالها على كثرةِ خيراتِ الحقِّ بالفرقان، الذي هو التَّمييزُ بين الحقِّ والباطل[3]، وأضاف القاسميُّ: والأظهرُ أنَّه لذكرِ الفُرقان فيها بمعانيهِ الآتيةِ المتَّسعِ لها اللَّفظ[4]، وعلى هذا فإنَّ تسميتَها بالفرقان مرتبطٌ بالمُفاصلةِ

(1) البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم (4706).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 18.
(3) المهايمي، تبصير الرّحمن وتيسير المنّان، ص: 426.
(4) القاسمي، محاسن التّأويل: 7/ 415.

بين الحقِّ والباطل من جوانبَ متنوِّعة، فالسّورةُ الكريمة قد بيَّنتْ أسبابَ هذه المفاصلة بين فريقَي الحقِّ والباطل، وبيَّنتْ شُبُهات أهل الباطل الفكريَّة والعقديَّة حولَ الكتاب والنُّبوَّة، وبيَّنت مآلاتِ إعراضِهم وآثارها عليهم في الدُّنيا والآخرة، وعقدتِ السّورة كذلك موازناتٍ بينهم وبينَ عباد الرَّحمن المتَّصفينَ بالصِّفات الخُلُقيَّة والعقديَّة والنَّفسيَّة، التي تؤهِّلُهم لأن يكونوا أنصارَ الحقِّ وحُماتَهُ.

محور السورة:

مَـدارُ الـسّـورةِ حـولَ تحقيق المـفـاصـلـةِ بين أهل الحقِّ وأهل الباطل

افتُتِحَتْ هذه السّورة الكريمة بالثَّناءِ على الله تعالى، الَّذي نزَّل الفرقانَ على عبده محمَّد ﷺ، والَّذي له ملكُ السَّماوات والأرض، والَّذي خلقَ كلَّ شيء، فقدَّرَهُ تقديرًا، ثمَّ انتقلتِ السّورة بعد ذلك إلى حكايةِ بعض أقوال المشركينَ، الذين أثاروا الشُّبهاتِ حول الرَّسول ﷺ وحولَ دعوته، وردَّتْ عليهم بما يمحقُ باطلَهم، وقارنَتْ بين مصيرهم السيِّئ وما أعدَّه الله تعالى للمؤمنينَ من جنّات: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: 7 - 8]، ثم ذَكرت جانبًا من تطاولهم وعنادِهم في أكثر من موضع من السورة، والردّ عليهم بما يَكبتُهم، وبما يزيدُ المؤمنين ثباتًا على ثباتهم: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٢٢ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ۝٢٣ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ۝٢٤﴾ [الفرقان: 22 - 24]، وجاءت بجانب من قَصَص بعض الأنبياء مع أقوامهم، فيقول: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ۝٣٥ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ۝٣٦ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝٣٧﴾

[الفرقان: 35 - 37] ثمَّ انتقلت السّورةُ الكريمة بعد ذلك إلى الحديثِ عن مظاهر قدرة الله تعالى، فتسوق لنا مظاهرَ قدرتهِ في مدِّ الظلِّ، وفي تعاقبِ اللَّيل والنَّهار، وفي الرّياح التي يُرسلُها سبحانه؛ لتكونَ بشارةً لنزول المطر، ثمَّ يعقِّب على ذلك بالتعجُّبِ من حال الكافرين، الذين يعبدونَ من دونه سبحانه ما لا ينفعُهم ولا يضرُّهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: 45 - 47][1].

موضوعات السورة وخصائصها:

العلَّةُ من إنزال الفرقان وإرسالِ الرُّسل هو تحقيقُ المفاصلة بين الحقِّ والباطل

تدور موضوعات السورة الكريمة حول إنزال القرآن ورد الشبهات عليه، وحول الرسول ﷺ والدفاع عنه، وعن رسالته، وهي على الترتيب الآتي:

الأول: بدأت السورة بإثبات الوحدانية لله ﷻ، وبيان أن القرآن أنزله الله تعالى، وصحة رسالة النبي ﷺ، ووقوع البعث والجزاء يوم القيامة لا محالة، في الآيات [1 - 7].

الثاني: فنَّدت السورة عقائد المشركين، ونعت عليهم عبادة الأصنام والأوثان ونسبة الولد لله ﷻ، وتكذيبهم بالبعث والقيامة، وهددتهم بما سيلقون من ألوان العذاب والنكال في نار جهنم، ومفاجأتهم بما في جنان الخلد من أصناف النعيم المقيم، في الآيات [8 - 16].

الثالث: اقتضى إنزالُ الكتاب وإرسالُ الرُّسل انقسامَ النّاس إلى فريقَيْن: فريق الحقِّ، وفريق الباطل، واقتضى هذا المحورُ كذلك أنْ تنعى السّورة على أهل الباطل اتِّخاذَهم الشُّركاء لله، ونفَتْ عن هذه الآلهة المزعومةِ مظاهرَ النَّفع والضُّرِّ، في الآيات [17 - 19]، [55].

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 166 - 168.

الرابع: تعرضت السّورة الكريمة لأسبابِ إعراضهم، وأسانيدِ كفرهم الدّاخليَّة والخارجيَّة، التي منها: الاستكبارُ، واتِّباعُ الهوى، وتعطيلُ أدوات الانتفاع، وإغلاقُ نوافذ المعرفة، وعدمُ الاعتبار بمصائر الأمم السّابقة، في الآيات [21]، [40 - 44].

الخامس: تعرضَ السّورةُ الكريمةُ للآياتِ الكونيَّة في الأنفس والآفاق، الدّالَّةِ على صدق الفُرقان وصدقِ مَن نزل عليه، في الآيات [45 - 49]، [53 - 55].

السادس: ختمت السورة ببيان صفات عباد الرحمن المخلصين الموقنين، وما يتحلون به من أخلاق سامية وآداب رضية، تجعلهم يستحقون بها إكرام الله تعالى وثوابه الجزيل في جنات النعيم، في الآيات [62 - 77].

الخصائصُ الأسلوبيَّة لسورة (الفرقان):

سورة (الفرقان) انفردتْ بمُميِّزات وخـصـائـصَ مازَتْها عن غيرها من السّور المكّيّة

أولًا: انفردَتْ سورةُ الفرقان بذكر بعضِ الشُّبهات التي طرحها المشركون حول النُّبوَّة ومصدريَّة القرآن، فقد اتَّهموه باكتتاب هذا القرآن، واتَّهموه ببشريَّته وسحره، وأنَّه جاء بالقرآن منجَّمًا.

ثانيًا: تميَّزت السّورة الكريمة بذكر بعض المشاهد القرآنيَّة للأدلَّة الأنفسيَّة في خلق الإنسان وفي الآفاق، ممّا لم تشاركْها فيه سورةٌ أخرى، أوْ شاركتها فيه، ولكنْ من زاويةِ عرضٍ أخرى، كقوله في خلق الإنسان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: 54]، وكذلك مدُّ الظِّلِّ، وإنزال المطر، وسقي الأنعام والأناسيِّ، ومرج البحرين، وخلق السَّماوات والأرض في ستَّة أيام، والاستواء على العرش، وبروج السماء، والسراج، والقمر... إلى غير ذلك.

ثالثًا: انفردتِ السّورة الكريمة بوصف النَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ لقومه بأنَّهم اتَّخذوا القرآنَ مهجورًا، حيث لم يرد في سورة أخرى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: 30].

رابعًا: امتازتِ السّورة الكريمة ببراعة الاستهلال بقوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ حيثُ لم تشاركها فيه سوى (سورة الملك)، علمًا أنَّ كلتا السّورتَيْنِ جاءتا بعد سورٍ مدنيَّة، فالمُلْك بعد التَّحريم، والفرقان بعد النّور، وكلتا السّورتَيْن المدنيَّتَيْن قد تعرَّضتا لأحكام بيت النُّبوَّة، لكنَّ سورة الفرقان تكرَّر فيها قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾ ثلاث مرّات[1].

خامسًا: اختُتمتْ بعض آيات السّورة بلفظتَيْن مشتقَّتَيْن من أصل واحد، مثل: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾، ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان: 21]، ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: 22، 53]، ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: 32]، ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ [الفرقان: 36]، ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان: 39]، ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا﴾ [الفرقان: 46]، ﴿يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: 71]، فضلًا عن اقتران فواصلِها ببعض المتقابلات، أو العامِّ والخاصِّ مثلُ قوله: ﴿ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ [الفرقان: 4]، ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: 5]، ﴿جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الفرقان: 15]، ﴿وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: 3]، ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾ [الفرقان: 56]، ﴿سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: 61]، ﴿سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: 64]، ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: 66، 76]، ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: 73]، ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: 75].

سادسًا: وردتْ في السّورة بعضُ الألفاظ بنسبٍ لافتة للنَّظر بالنِّسبة إلى مجموع ورودِها في القرآن كلِّه، فقد وردت لفظة ﴿تَبَارَكَ﴾ فيها ثلاثُ مرّات من أصل تسعِ مرّات في القرآن كلِّه[2]، ووردتْ فيها لفظة ﴿ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ ثلاث مرّات من أصل أربعٍ في القرآن كلِّه[3]، و﴿وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ وردت مرَّتَيْن من أصل أربع[4]، و﴿نَسَبًا﴾ وردت مرَّةً من أصل مرَّتَيْنِ في القرآن كلِّه[5]، وكذلك تكرَّر فيها لفظُ: (السَّبيل) نحوَ سبعِ مرّات[6].

سابعًا: انفردتِ السّورة ببعض الأبنية الصَّرفيَّة لأسماءٍ وأفعالٍ لم ترد في غيرها، مثل:

(1) الآيات: 1، 10، 61.
(2) الآيات: الأعراف: 54، المؤمنون: 14، الفرقان: 1، 10، 61، غافر: 64، الزخرف: 85، الرحمن: 78، الملك: 1.
(3) الآيات: الإسراء، ص: 102، الفرقان: 13، 14، الانشقاق: 11.
(4) الآيات: الحج: 30، الفرقان: 4، 72، المجادلة: 2.
(5) الآيتان: الفرقان: 54، الصافات، ص: 158.
(6) الآيات: 9، 7، 27، 34، 42، 44، 57.

﴿ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ حيث وردت في السّورة في موضعَيْن[1]، و﴿وَصِهۡرٗا﴾[2]، و﴿وَزَفِيرٗا ١٢﴾[3]، و﴿يَخِرُّواْ﴾[4]، و﴿حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢﴾[5]، و﴿تَبَّرۡنَا﴾[6]، و﴿مَهۡجُورٗا ٣٠﴾[7]، و﴿مَقِيلٗا ٢٤﴾[8]، و﴿نُشُورٗا ٣﴾[9] وغيرها.

ثامنًا: انفردتِ السّورةُ كذلك بألفاظ فريدةٍ لم يرد من جذرها اشتقاقاتٌ وصيغٌ أخرى في القرآن الكريم وهي: ﴿فُلَانًا﴾ [الفرقان: 28] في قوله: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ [الفرقان: 28]، و﴿تَفۡسِيرٗا ٣٣﴾ [الفرقان: 33]، في قوله: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان: 33]، و﴿يَعۡبَؤُاْ﴾ [الفرقان: 77] في قوله: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ٧٧﴾ [الفرقان: 77]، ولا يخفى ارتباطُ هذه الألفاظ بمحور السّورة ومقصودِها العامِّ.

بيانُ المناسبةِ بينَ السّورة وسابقتِها:

السّورةُ متّصلةٌ تمامًا بسورة النّور مضمونًا وأسلوبًا

جاءتْ هذه السّورةُ في التَّرتيب المصحفيِّ بعدَ سورة النّور، وقد تلمَّس وجهَ اتِّصالهما الإمامُ السُّيوطيُّ بقوله: "ظهرَ لي بفضل الله بعد ما فكَّرت مدَّة: أنَّ نسبةَ هذه السّورة لسورة النّور، من حيث إنَّ النورَ قد خُتمت بقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾، ثمّ فُصِّلتْ هذه الجملة في (سورة الفرقان)، فافتُتحتْ بقوله: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾، ثمَّ ذكر في خلال هذه السورة جملةً من المخلوقات، كـ(مدِّ الظِّلِّ، والليل، والنّوم، والنَّهار، والرّياح، والماء، والأنعام، والأناسيِّ، ومرج

(1) الآيتان: 7، 20.
(2) الآية: 54.
(3) الآية: 12.
(4) الآية: 73.
(5) الآيات: 22، 53.
(6) الآية: 39.
(7) الآية: 30.
(8) الآية: 24.
(9) الآيات: 3، 40، 47.

البحرين، والإنسان، والنَّسب، والصِّهر، وخلق السّماوات والأرض في ستَّة أيام، والاستواء على العرش، وبروج السَّماء، والسِّراج، والقمر)، إلى غير ذلك، ممّا هو تفصيلٌ لجملة: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾.

ثمَّ أشار في هذه السّورة إلى القرونِ المكذِّبة وإهلاكهم، ثمَّ أوضحَ هذه الإشارة في السّورة التي تليها بالبسط التامِّ، والتَّفصيل البالغ.

ثمَّ ظهرتْ لي لطيفةٌ أخرى[1]، وهي: أنَّه إذا وقعتْ سورة مكّيَّة بعدَ سورة مدنيَّة، افتتحَ أوَّلُها بالثَّناء على الله، كـ(الأنعام) بعد (المائدة)، و(الإسراء) بعد (النَّحل)، وهذه بعدَ (النّور)، و(سبأ) بعدَ (الأحزاب)، و(الحديد) بعد (الواقعة)، و(تبارك) بعد (التحريم)؛ لما في ذلك من الإشارةِ إلى نوعِ استقلالٍ، وإلى الانتقال من نوعٍ إلى نوعٍ"[2]، وقد تقدَّم في سورة النّور أنَّ المراغيَّ قد ذكرَ وجوهًا أُخرى للمناسبةِ بينها وبينَ سورة النّور، منها:

الأول: أنَّه سبحانه اختتم (سورةَ النّور) بكونه مالكًا لما في السَّماوات والأرض مصرِّفًا له على ما تقتضيه الحكمةُ والمصلحة مع النِّظام البديع والوضع الأنيق، وأنَّه سيحاسبُ عبادَه يومَ القيامة على ما قدَّموا من العمَل خيرًا كان أوْ شرًّا، وافتتحَ (سورة الفرقان) بما يدلُّ على تعاليه في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه، وعلى حبِّه خير عبادِهِ بإنزال القرآنِ لهم هاديًا وسراجًا منيرًا.

الثاني: اختتم (سورة النّور) بوجوب متابعة المؤمنينَ للرَّسول ﷺ معَ مدحِهم على ذلك، وتحذيرِهم من مخالفة أمره خوفَ الفتنة والعذابِ الأليم، وافتتحَ (سورة الفرقان) بمدح الرَّسول وإنزالِ الكتاب عليه لإرشادِهم إلى سبيل الرِّشاد، وذمّ الجاحدينَ لنبوَّته بقولهم: إنَّه رجلٌ مسحور، وإنَّه يأكلُ الطعام ويمشي في الأسواق ... إلى آخرِ ما قالوا.

الثالث: في كلٍّ من السّورتين وصفٌ للسَّحاب وإنزالِ الأمطار وإحياءِ الأرض الجرُز.

الرابع: ذكر في كلٍّ منهما وصفَ أعمالِ الكافرين يومَ القيامة، وأنَّها لا تجزيهم فتيلًا ولا قِطميرًا، فقال في الأولى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ [النور: 39] الآية، وقال في هذه: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: 23].

(1) الكلام لا زال للسيوطي.

(2) السّيوطيّ، تناسق الدّرر: 113 - 115.

الخامس: وصفَ النَّشأة الأولى للإنسان في أثنائِهما، فقال في الأولى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: 45]، وفي الثانية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: 54][1].

بيانُ المناسبةِ بينَ السّورة ولاحقتِها:

السّورةُ متّصلةٌ بسورة الشعراء مضمونًا وأسلوبًا

وأمّا وجهُ ارتباط (سورة الفرقان) بـ(سورة الشّعراء) فيمكنُ إجمال بعض وجوهِ اتِّصال السّورتَيْن الكريمتَيْن بالنِّقاط الآتية:

الأول: إنَّ في (سورة الشّعراء) بسطًا وتفصيلًا لبعض ما ذكر في موضوعاتِ سالفتها، فقد انتصرَتْ سورةُ الشُّعراء للنَّبيِّ ﷺ، وردَّت على المشكِّكين في نبوَّته.

الثاني: إنَّ كلتيهما قد بُدِئَت بمدح الكتاب الكريم، ففي الشُّعراء وُصف الفرقان بقوله: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الشعراء: 1 - 2].

الثالث: اشتركتْ كلتا السّورتَيْن بالتَّسريةِ عن النَّبيِّ ﷺ، فقد ورد في الشُّعراء قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الشعراء: 3]، وقوله: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢١٦ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾ [الشعراء: 216 - 220].

الرابع: إنَّ كلتيهما خُتمت بإبعاد المكذِّبين، فقد خُتمت الفرقان بقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾ [الفرقان: 77]، وخُتمت الشُّعراء بوصفهم بالظُّلم وبوعيدهم بقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء: 227][2].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 18/ 145.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 19/ 44.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»